

هل هُنَاكَ عَلاَقةٌ بَينَ هُجُومِ الحُوَثِيِّينَ عَلى نَاقِلةِ نَظفِ سَعودِيَّةٍ في البَحرِ الأَحمَرِ وتَهديدِ إِيْرانِ بِإِغلاقِ مَضِيقِ هَرْمُزٍ؟



ولماذا تتزايد تسريبات الإمارات حول نواياها بسحب قوّاتها من اليمن هذه الأيام؟ وكيف نفضّس الصّمت السّعوديّ تجاهها؟

عبد الباري عطوان

اعترفت المملكة العربيّة السّعوديّة اليوم بالهجوم الذي شنّته ورجدة تابعة لحركة "أنصار[]" الحوثيّة على ناقلة نَظفِ تابعة لها في البحر الأحمر، ممّا أدّى إلى إصابتها بأضرارٍ بسّيمة" حسب بيانها الرسميّ، ويأتي هذا التطور العسكريّ الخطير في وقتٍ تتزايد فيه التّسريبات والتّكهنّات عن عزم دولة الإمارات العربيّة المتّحدة سحب قوّاتها من اليمن بعد أن بات مُتّعدّراً حسمها عسكريّاً طوال الأربع سنّوات الماضيّة، حسب مسؤولين فيها. لم تكشف وكالة أنباء "سبأ" التابعة لحركة "أنصار[]" عن كيفية إصابة هذه الناقلة، فهل جاءت نتيجة إطلاق صاروخٍ بحريٍّ عليها من البَر، أم نتيجة هجوم بزورق يقوده انتحاريّون؟ وأيّاً كانت نوعيّة السلاح الذي استخدم في هذا الهجوم، فإنّه يُؤسّس لنقله نوعيّةٍ جديدةٍ في هذه الحرب، عنوانها الأبرز استهداف ناقلات النّظف في البحر الأحمر، وتعطيل الملاحه الدوليّة فيه إذا لزم الأمر.

لا نستبعد أن يكون هذا الهجوم مُرتبطاً بطريقةٍ أو بأخرى، بالتّهديدات الإيرانيّة بإغلاق مَضِيقِ هَرْمُزِ الذي تمّ عبره ناقلات تَحْمِلُ 18 مليون برميل يوميّاً في حال مَنع الصادرات النفطية

الإيرانية في إطار العُقوبات الأمريكية المُتوقَّع تطبيقها في الرابع من تشرين الثاني (نوفمبر) المُقبِل.

بعد مرور ما يَقرُبُ من أربع سنوات على الحَربِ السَعوديَّةِ الإماراتيَّةِ في اليمن باتَ واضحًا أنَّ الحَلَّ العَسكريَّ مُستَحيل، رغم إنفاق السَعوديَّةِ 64 مِليار دولار على شراء أسلحةٍ في العام الماضي فقط، مُتفَوِّقةً بذلك على روسيا في الإنفاقِ العَسكريِّ، وِفق ما جاء في بيان لمعهد ستوكهولم للسِّلام، واحتلال دولة الإمارات المركز العاشر عالميًّا، حسب تقريرٍ أمريكيٍّ سَنويٍّ يَرسُدُ صَفَقات التَّسليح.

التَّطوُّرُ اللافت الذي تَوفَّفَ عنده الكثيرون ونحن من بينهم، تَزايدُ عدد التَسيَّراتِ الإماراتيَّةِ التي تُمَهِّدُ علانيَّةً للانسحاب من حَربِ اليمن، ومن أكثر من جهةٍ رسميَّة، وسط تقارير تُؤكِّدُ أنَّ القِيادةِ الإماراتيَّةِ كانت تُخَطِّطُ لانتصارٍ عَسكريٍّ في الحديده، تستخدمه سُلَّامٌ للنزول عن الشجرة، وسَحَبِ جميع قُوَّاتِها في أسرعِ وَقتٍ مُمكنٍ تَقليصًا للخَساتِرِ، وتَجَاوِزًا مع مُغوطٍ داخليَّةٍ زاد تَدمُّرُها في الفَترَةِ الأخيرة من استمرارِ الحَربِ، والخَساتِرِ الماديَّةِ والبشريَّةِ المُترتِّبة على ذلك، ودُونَ وجودِ أيِّ مَخْرَجٍ سَلميٍّ أو عَسكريٍّ منها.

الإمارات، وعلى عَكسِ السَعوديَّةِ، تُوجَدُ لها قُوَّاتٌ عَسكريَّةٌ على الأرض تُشارِكُ في المِعارِكِ على الجِيبِاتِ الأماميَّةِ، بينما تكتفي شريكِها السَعوديَّةِ بالقِتالِ من الجِو، ونحن نَتحَدِّثُ هُنَا عن مِعارِكِ الحُدودِ الجنوبيَّةِ، ولكن طائِراتِها لم تَعدُ تَجدُ أهدافًا تَقصرُفها، ممَّا اضطرَّها إلى قصفِ مَحصَنَةٍ للمِياه في صعدة قبل يومين ما أدَّى إلى حِرمِانِ خَمسةِ آلافِ طفلٍ وعائِلاتِهِم من مِياهِ الشُّربِ، حسب تَصرِحاتِ للسيدِ خيري كالاباري، المُتحدِّثِ باسمِ منظمةِ اليونسيفِ الدوليَّةِ يومِ أمسِ، ونقلتِ تصرِحاته عِدَّةُ وكالاتِ أنباءٍ بينها "رويترز".

مَسْؤُولُ إماراتيٌّ كَبيرٌ قال في جَلِسةٍ خاصَّةٍ في واشنطن أنَّ الاكتشافِ الأهمِّ لهذه الحَربِ بالنِّسبةِ إلى الأميرِ محمد بن سلمان، وليِّ العَهدِ ووزيرِ الدفاعِ السَعودي، هو عدمُ وجودِ جيشِ قوِيٍّ لِبِلادِهِ مُؤَهَّلٍ لِحَوضِ الحُرُوبِ رغم الإنفاقِ العَسكريِّ الكَبيرِ، وما يُؤكِّدُ هذه الحَقيقةَ تَراجُعُ مُستوى التَّسَنيقِ العَسكريِّ بين الشُّريكينِ، الإماراتيِّ والسَعوديِّ في هَذِهِ الحَربِ، خاصَّةً في مَناطقِ الحديده، مِنعِلمِا أفادتِ تَسيَّراتِ غَربيَّة، وبُروزِ بعضِ الخِلافاتِ في هذا الإطارِ.

المُراقِبون تَوقَّعوا طَوِيلًا أمامَ تصرِحاتِ السيدِ يوسفِ العَتيبة، سفيرِ الإماراتِ في واشنطن، التي تَحدِّثُ فيها بِشَكلٍ واضحٍ عن عزمِ حُكومتِهِ الانسحابِ من اليمن، وقال فيها أنَّهُ ناقَشَ مع المبعوثِ الدوليِّ مارتِنِ غِريفِثِ إنهاءَ الحَربِ وسَحَبِ جميعِ القُوَّاتِ الإماراتيَّةِ، وأبَدَى في الوَقتِ نفسه تَدمُّرًا من رَفضِ تَقديمِ أمريكا دَعمًا لِحِلفِها في حَربِ اليمنِ مِثلَما كانَ مأمولًا.

وما عَزَّزَ من مِصادِقيَّةِ هذهِ التَصرِحاتِ غيرِ المَصبُوقَةِ، وعلى هذا المُستَوى حولِ الانسحابِ، ما

ذَكَرَهُ الدكتور عبد الخالق عبد الله، أحد مُستشاري الشيخ محمد بن زايد، وليّ عهد أبو ظبي، في سلسلةٍ من تَغريداتِهِ على حسابِهِ على "التويتِر"، وأكَّـدَ فيها أنَّهُ بعد أربع سنواتٍ اتَّـصَحَ "أنَّهُ لا يُمكن كسب هذه الحَرب بالصَّـرْبِ العَسْكَرِيَّةِ القاضِيَةِ، وقد تَستمرُّ لأربع سَنواتٍ أُخْرَى بِرِثْمَنِ سِياسِيٍّ وإِنسانِيٍّ باهِظ، ولذلك إذا أمكَن عَودةُ الشَّرِعيَّةِ بالمُفَاوضاتِ فأهْلاً بِالْحَلِّ الدِّبْلوماسِيِّ"، ولكن أين هي المُفَاوضاتِ ومَن سيُشارِكُ فيها؟

الأهمّ مما تَقْدِّمُ قوله في تَغريدهِ أُخْرَى "أنا مع وقف الحرب حالاً وعودة جُنود الإمارات إلى الوطن، عندما يتم تسليم ميناء الحديد، وخُروج قُوَّاتِ الحوثي بِسلامِ منها، لقد أدَّت الإمارات واجِبَها وأكثُر، والتحالف بِقيادةِ السُعودِيَّةِ قَدِّمُ كل ما يُمكن تَقديمه للحُكومةِ الشَّرِعيَّةِ، وحين وقت القِتالِ وترتيب وضع يَمَن ما بَعد الحَربِ دِبْلوماسِيِّاً".

الدكتور عبد الله لا يُمكن أن يَكْتُبُ هذا الكلام دون تَوَجِيهِ رَسْمِيٍّ، واختيارٍ دَقِيقٍ للكلمات بعد مُراجَعَتِها من قِبَلِ القِيادةِ الإِماراتِيَّةِ العُلَيا، وربَّما الشيخ محمد بن زايد شَخِصِيًّا، فهذا مَوْضوعٌ من المُحَرِّماتِ الخَوْصِ فيه وإطلاقِ تَغريداتٍ على هَذِهِ الدَّرجَةِ من الخُطورةِ والحِساسِيَّةِ دون الرُّجوعِ إلى القِيادةِ العُلَيا، أو بتَوَجِيهِ مُباشِرٍ مَنها؟

مع تَماعُدِ أصواتِ قَرعِ طُبولِ الحَربِ في المِنطَقةِ، والتَهديداتِ الإِيرانِيَّةِ بـ "أُم الحُرُوب"، وإغلاقِ مضيقِ هرمز، وتَكاثُرِ الحَدِيثِ عن تَدَمُّرِ "بعض الإمارات" في الاتِّحَادِ الذي تقوده أبو ظبي، من "خُطورةِ" الاستمرارِ في الحَربِ اليمِنيَّةِ، يبدو أنَّهُ مُهَمِّمَةٌ المِبعوثِ الدُوليِ غريفيث باتت مَحْصُورَةٌ ليس في إنهاء الحرب في الحديد، وإنَّما تَهْيِئَةُ الأَجواءِ لانسحابِ القُوَّاتِ الإِماراتِيَّةِ وحُلْفائِها في أسرعِ وَقْتٍ مُمكن، وإسْدالِ السُّتارِ على "عاصفةِ الحزم"، وتَرَكَ اليَمَنَ لليَمَنيِّينَ لترتيبِ وتَحْمُلِ مَسْؤُولِيَّاتِهِم تَقْلِيصًا لِلخَسائِرِ البَشَرِيَّةِ والمادِيَّةِ (البعض يُقَدِّرُها بِحواليِّ 200 مليارِ دُولارٍ حتَّى الآن).

الإعلانُ عن رَغْبَةِ الإماراتِ في سَحَبِ قُوَّاتِها من اليمن، ربَّما يُفَسِّرُ، وحسبِ تقاريرِ مَصادرِ دِبْلوماسِيَّةِ عَرَبِيَّةِ في لندن، عدمَ تنفيذِ حركةِ "أنصارِ الله" الحوثِيَّةِ لِتَهديداتِها بِإطلاقِ صواريخِ الباليستيَّةِ على مُدُنِ دولةِ الإماراتِ، وخاصَّةً دُبيٍّ وأبو ظبي، على غِرارِ ما فعلتِ عندما أَطْلَقتِ 120 صاروخًا على الرياضِ وجَدَّةَ والطائفِ وجيزانَ ونجرانَ وخميسَ مشيطِ في السُعودِيَّةِ.. وإِذْ أَعْلَمُ.